خاتمة الكتاب

في ذكر جملة من الماجريات الجدلية

الواقعة في ماضي الزمان بين الناس

وفائدة ذلك الإعلام بعموم الحاجة إلى هذه الصناعة وتمرن الخاطر بالنظر في قوى الناس المستحضر للأجوبة، هذا مع أن الجدل صناعة تكاد تكون فطرية إن لم تكن كذلك حقيقة، فإنا نرى العامة بل الصبيان تقع بينهم المناظرات على القانون الصناعي من إيراد الاستفسار كقول أحدهما للآخر: أيش قلت؟ أو كيف قلت؟ أو أيش معنى هذا؟ والمنع هو الذي يسمونه المكابرة نحو قولهم: والله ما هو كذا وما هو إلا كذا ! والنقض كقول بعضهم: فلان علق على دابته عوذة فما مرضت، فيقول الآخر: قد علق فلان على دابته عوذة فماتت، أو مرضت، وهو وجود العلة بدون الحكم وهو النقض.

والصبيان ببدائههم يدركون أن المعارضة تبطل الحجة وأنها بعد المعارضة ترجيح بلا مرجح وأنه باطل، فإذا افتخر أحدهم على باقيهم بطفر نهر أو وثوب جدار أو نحو ذلك اجتهدوا على أن يفعلوا مثل فعله فإن صح لهم علموا أن افتخاره عليهم قد بطل وأنه صار ترجيحًا بلا مرجح وأن ذلك باطل، وأشباه ذلك مما يقع من العامة كثيرًا.

وإنما العلماء استخرجوا لصناعة الجدل قوانين وضوابط وأسماء وألقابًا تعرف بها، وقرروا منها ما كان نظريًّا لا يدرك بالبديهة، ولهذا نرى العلماء يحيطون منها ومن غيرها بما لا يحيط به غيرهم؛ لأن البديهي من ذلك مشترك وزاد العلماء بالنظريات التي لا سبيل لغيرهم إليها.

إذا عرفت ذلك عدنا إلى ما قصدنا له.

فنقول: قد سبق من الماجرايات قصة الملائكة وإبليس مع الله عز وجل ونحو ذلك مما ذكر عن الأنبياء وغيرهم في الباب الخامس.

[١- بين ذي الرمة ورؤبة]

ومنها ما ذكر في "مجالس النحاة " –أحسبه تأليف السيرافي- أن بلال بن أبي بردة جمع بين ذي الرمة ورؤبة بن العجاج، وكان ذو الرمة معتزليًا وكان رؤبة مثبتًا للقدر فقال له رؤبة: والله ما افتحص قطاة أفحوصًا ولا تقرمص أسد قرموصًا إلا كان ذلك بقضاء من الله وقدر، فقال له ذو الرمة: آلله ! لأن وثب الذئب على حلوبة لصبية عالةٍ عيايل ضرائك نسبت ذلك إلى الله؟ فقال له رؤبة: أفبقدرة من الذئب أكل الحلوبة؟ هذا كذب على الذئب ثان، فقال ذو الرمة: والله للكذب على الذئب أهون من الكذب على الله.

قوله: افتحص قطاة أفحوصًا – أي: بحثت برجلها مجثًا تبيت أو تبيض فيه، والفحص البحث يقال: فحص عن الشيء وافتحص إذا بحث وكشف، والأفحوص جمعه أفاحيص والقرموص واحد القراميص. قال ابن السكيت: خي حفر صغار يستكن فيها الإنسان من البرد، قلت: فإن كانت مختصة بالإنسان فلعل رؤبة استعارها للأسد.

والحلوبة: الناقة أو البقرة أو الشاة ذات اللبن يحتلب منها، والعالة: الفقراء، والعيايل: مبالغة فيه يدل على شدة فقرهم، والضرائك: جمع ضريك وهو الضرير وأيضًا البائس الفقير الهالك فقرًا، ويجمع أيضًا على ضركاء كفقير وفقراء.

وقوله: هذا كذب على الذئب ثان – إشارة إلى قوله عز وجل: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [يوسف: ١٨] وقولهم: ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ [يوسف:١٧]، يعني أن هذا كذب على الذئب أول ما ذكره ذو الرمة من أنه أكل الحلوبة بقدرته المحضة كذب ثان. وقول ذي الرمة: للكذب على الذئب أهون من الكذب على الله – هو على جهة التنزل أي: أسلم أني كذبت على الذئب، ولئن سلمت أني كذبت على لاذئب في نسبتي الأكل إليه فأنت قد كذبت على الله حيث نسبت خلق الأكل إليه والكذب على الذئب أهون.

قلت: وتقرير المناظرة أن رؤبة ادعى دعوى عامة أن كل فعل في العالم مخلوق لله عز وجل فمنعه غيلان ونقض دعواه بصورة خاصة وهي أكل الذئب للحلوبة، إذ ليس من فعل الله عز وجل لما فيه من المفسدة العظيمة والله عز وجل لا يفعل المفاسد والقبائح. فأجاب رؤبة بالتزام الحكم في صورة النقض، أي: أنا أقول بأن أكل الذئب

للحلوبة مخلوق لله طردًا لدعوى الكلية، والدليل عليه أنه إنما أكلها بإقدار الله عز وجل له على ذلك، وإلا فقدرة الذئب تضعف عنه بل لا قدرة للذئب أصلًا بل الله عز وجل خلق فيه القدرة على الأكل. فإضافة القدرة إلى الذئب إضافة فعل كذبٌ على الذئب، وإنما تضاف إليه إضافة محل وذلك غير معتبر، فاجاب ذو الرمة بما أجاب وهو منع ومعارضة كما ذكرنا.

والصواب الحق ها هنا في جانب أبي الجحاف رؤبة على ما عرف في الرد على القدرية، وذو الرمة وافق غيلان القدري في اسمه ومذهبه الفاسد.

[٢- بين ابن عباس وعبد الله بن الزبير]

ومنها ما ذكره القاضي أبو الفرج المعافي ابن زكرياء بن طرارا النهرواني في كتاب "الجليس الكافي والأنيس الشافي "، قال: حدثنا العتبي عن أبيه، قال: لما خرج الحسين بن علي إلى الكوفة اجتمع ابن عباس وعبد الله بن الزبير بمكة، قال: فضرب ابن عباس على جنب ابن الزبير وتمثل[1]: [الرجز]

يا لك من قنبـــــــــرَةٍ بمَعْمَرِ

خَلاَ لَكِ الجوُّ فَبيضِي وَاصْفِرِي

وَنَقِّـــــرِي مَا شِئْتِ أن تُنَقِّرِي

خلا لك والله يا ابن الزبير الحجاز وسار الحسين إلى العراق، قال: فقال ابن الزبير لابن عباس: والله ما ترون إلا أنكم أحق بهذا الأمر من سائر الناس، فقال له ابن عباس: إنما يرى من كان في شكٍّ فأما نحن فمن ذلك على يقين، ولكن أخبرني مع نفسك لِمَ زعمت أنك أحق بهذا الأمر من سائر العرب؟ قال ابن الزبير: لشرفي عليهم قديمًا لا ينكرونه، قال: أيما أشرف أنت أم من شرفت به؟ قال: إن الذي شرفت به زادني شرفًا، قال: وعلت أصواتهما، فقال ابن أخ لعبد الله بن الزبير: يا ابن عباس، دعنا من قولك فوالله لا تحبوننا يا بني هاشم أبدًا ! فخففه عبد الله بن الزبير بالنعل، وقال: أتتكلم وأنا حاضر؟! فقال له ابن العباس: لِمَ ضربت الغلام؟ وما استحق الضرب، وإنما يستحق

(١) انظر: مجمع الأمثال ٢٣٩/١، والمستقصى ٧٥/٢.

الضرب من مرق ومذق، قال: يا ابن عباس، ما تريد أن تعفو عن كلمة واحدة، قال: إنما نعفو عمن أقر فأما من هذا فلا، قال: فقال ابن الزبير: فأين الفضل؟ قال ابن عباس: عندنا أهل البيت لا نضعه في غير موضعه فنندم ولا نزويه عن أهله فنظلم، قال: أولست منهم؟ قال: بلى، إن نبذت الحسد ولزمت الجدد،قال: واعترض بينهما رجال من قريش فأسكتوهما.

قلت: قول ابن عباس: إنما يرى من كان في شك – يعني أن الرأي والاجتهاد إنما يكون مع الاحتمال والتردد لا مع القطع واليقين، وأنت ترى ابن عباس في هذه المناظرة غالبًا، وما ذاك إلا لأنه أجدل من ابن الزبير، وإلا فقد كان لابن الزبير حنين قال له: لِمَ ضربت الغلام وما استحق الضرب ! أن يمنعه ذلك ويقول: بلى استحق لأن هذا من مثله سوء أدب في العرب فأدبته ولي الولاية على تأديبه، فتنكسر عنه سورة الخصم، وقوله: إلا من مرق ومذق، أي: خرج من طريق الحق ونافق فلم يخلص كما ينبغي.

[٣- بين ابن عباس ومعاوية ابن أبي سفيان]

ومنها قال المعافي: حدثنا محمد بن يزيد الخزاعي، حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثني أبو الحسن الأثرم، عن هشام بن محمد الكلبي، عن أبيه قال: لم يكن أحد من بني هاشم أكثر غشيانًا لمعاوية من عبد الله بن عباس، فوفد إليه مرة وعنده وفود العرب فأقعده على يمينه، ثم أقبل عليه فقال: نشدتك الله يا بان عباس لو وليتمونا أتيتم إلينا ما أتينا إليكم من الترحيب والتقريب وعطاياكم الجزيل، وإكرامكم عن القليل، وصبرتم على ما صبرنا عليه منكم، إني لا آتي إليكم معروفًا إلا أصغرتموه، أعطيكم العطية فيها قضاء حقوقكم فتأخذونها متكارهين عليها تقولون: قد نقص حقنا وليس هذا تأميلنا: فأي أمل بعد ألف ألف أعطيها الرجل منكم ثم أكون أسر بإعطائها منه بأخذها. والله قد انخدعت في مالي وذللت لكم في عرضي ! أرى انخداعي تكرمًا وذلي حلمًا. ولو وليتمونا رضينا منكم بالإنصاف ثم لا نسألكم أموالكم لعلمنا بحالنا وحالكم، ويكون أبغض الأمور إلينا أحبها إليكم؛ لأن أبغضها إلينا أحبها إليكم. قل يا ابن عباس ! فقال ابن عباس: لو ولينا منكم مثل الذي وليتم منا اخترنا المواساة ثم لم نغش الحي بشتم الميت، ولم ينبش الميت بعداوة الحي، ولأعطينا كل ذي حق حقه فأما إعطاؤكم الرجل منا ألف ألف فلستم بأجود منا أكفًّا، ولا أسحى منا أنفسًا، ولا أصون لأغراض المروءة

وأهداف الكرم، ونحن والله أعطى في الحق منكم على الباطل وأعطى على التقوى منكم على الهوى، فأما رضاكم منا بالكفاف، فلو رضيتم به منا لم نرض لأنفسنا ذبذلك، والكفاف رضا من لا حق له، فلو رضيتم به منا اليوم ما قتلتمونا عليه أمس فلا تستعجلونا حتى تسألونا ولا تلقطونا حتى تذوقونا. فقال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب شعرًا[1]: [الطويل]

وقال ابن حرب قوله أموية ... يريد بما قد قال تفتيش هاشم
أجب يا ابن عباس تراكم لو أنكم ... ملكتم رقاب الأقربين الأكارم
أتيتم إلينا ما أتينا إليكم ... من الكف عنكم واجتباء الدراهم
فقال ابن عباس مقالًا أمضه ... ولم يك عن رد الجواب بنائم
نعم لو ولياكم عدلنا عليكم ... ولم تشتكوا منا انتهاك المحارم
ولم نعتمد للحي والميت غمة ... يحدثها الركبان أهل المواسم
ولم نعطكم إلا الحقوق التي لكم ... وليس الذي يعطي الحقوق بظالم
وما ألف ألفٍ تستميل ابن جعفر ... بها يا ابن حرب عند حز الحلاقم
فأصبح يرمي من رماكم ببغضه ... عدو المعادي سالمًا للمسالم
فأعظم بما أعطاك من نصح جيبه ... ومن أمن غيبٍ ليس فيه بنادم

قلت: هذه مناظرة فلج فيها ابن عباس على معاوية، قول الشاعر: وما ألف ألف، ليس نفيًا بل هو استفهام تقليل وتصغير.

(١) انظر: الجليس الصالح والأنيس الصالح ٣٣٣/١.

[٤- بين ابن عباس ويزيد]

ومنها قال المعافي: حدثنا محمد بن سليمان المعروف بـ"ابن الفأفاء " إملاء في سنة أربع وثمانين ومائتين عن الشعبي قال: لما قتل الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، سار عبد الله بن الزبير فدعا عبد الله بن عباس إلى بيعته فأبى ابن عباس فظن يزيد أن ابن عباس امتنع تمسكًا ببيعته فكتب إليه:

أما بعد... فإن الملحد في الدين دعاك إلى بيعته والدخول في طاعته لتكون له على الباطل عونًا وفي المأثم شريكًا، وأنت اعتصمت ببيعتنا وفاء منك لنا طاعة لله لما عرفت من حقنا، فجزاك الله من ذي رحم خير ما جزى الواصلين لأرحامهم والموفين بعهودهم، وما أنس من الأشياء فلست بناس برك وتعجيل صلتك بالذي أنت له أهل من القرابة من الرسول، فانظر من يطلع عليك من الآفاق ممن سحره ابن الزبير بلسانه وزخرف له قوله، وأعلمهم رأيك فإنهم منك أسمع ولك أطوع منه المستحل الحرم المارق.

فكتب إليه عبد الله بن عباس:

أما بعد... فقد جاءني كتابك تذكر دعاء ابن الزبير إياي والدخول في طاعته، فإن يكن ذلك كذلك فما أعدم برك وحمدك ولكن الله الذي أنوي به عليم. وزعمت أنك غير ناس بري وتعجيل صلتي،احبس أيها الرجل برك وتعجيل صلتك فإني حابس عنك ودي ! فلعمري ما تؤتينا مما لنا قبلك من حقنا إلا اليسير، وإنكا لتحبس عنا منه الطويل العريض: وسألت أن أحث الناس عليك وأن أخذلهم عن ابن الزبير فلا ولا سرورًا ولا حبًا ! إنك تسألني نصرتك وتحدوني على ودك، وقد قتلت حسينًا وفتيان عبد المطلب مصابيح الهدى ونحوم الأعلام ! عادرتهم جنودك بأمرك في صعيد واحد مزملين بالدماء مسلوبين بالعراء لا مكفنين ولا موسدين تسفي عليهم الرياح وتنتابهم الضباع حتى أتاح الله لهم قومًا لم يشركوا في دمائهم فكفنوهم وأجنوهم، وبي وبهم والله عززت وجلست مجلسك الذي جلست. فما أنس من الأشياء فلست بناس اطرادك حسينًا من حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسير إليه الرجال لتقتله في الحرم. فما زلت على ذلك حتى أشخصته من مكة إلى العراق فخرج منها خائفًا يترقب، ثم تنزلت به جندك فقتلوه

مكيدة لله ولرسوله وأهل بيته الذي أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا، نحن أولئك لا كآبائك الأجلاف الحفاة أكباد الحمير، فطلب إليكم الموادعة وسألكم الرجعة فاغتنمت مقلة أنصاره واستئصال أهل بيته فتعاونتم عليه كأنكم قتلتم أهل بيت من الترك إذ جاءتك. فلا شيء أعجب من طلبك ودي وقد قتلت ولدي وسفكت بعضًا من دمي وأنت أحد ثأري فإن يشأ الله لا يطل لديك دمي ولا تسبق ثأري، فإن سبقتني في الدنيا فقبل ذلك قتل النبيون وآل النبيين وطلب الله بدمائهم، وكفى بالله للمظلومين من الظالمين منتقمًا، فلا تعجل إن لم يظفرني الله بك اليوم فليظفرني بك ويمًا ما،وذكرت وفائي ما عرفت من حقك فإن يكن ذلك كذلك فقد والله بايعتك، وإنك لتعلم أني ووالدي أحق بهذا الأمر منكم، ولكنكم معشر قريش كاثرتمونا حتى دفعتمونا عن حقنا ووليتم الأمر من دوننا فعبدًا لمن تحرى ظلمنا واستغوى السفهاء علينا كما بعدت ثمود وقوم لوط وأصحاب مدين. ألا وإن من أعجب الأعاجيب وما عيسى أن أعجب حملك أبناء عبد المطلب وأطفالًا صغارًا من ولده إليك بالشام كأسارى المحاربين، تري الناس أنك قد قهرتنا وأنك تمن علينا وبنا منَّ الله عليك، ولعمر الله إن كنت تصبح آمنًا من جراحة يدي، إني لأرجو أن يعظم الله جرحك من لساني والله ما أنا بآيس من بعد قتلك عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأخذك الله أخذًا أليمًا ويخرجك من الدنيا مذمومًا مدحورًا، فعش لا أبا لك ما استطعت، فقد والله ازددت عند الله أضعافًا واقترفت مأثمًا، والسلام على من اتبع الهدى.

قلت: لعلك تقول: ليست هذه الحكاية من الجدل والمناظرة في شيء، وأقول لك: بلى أليس قد كان ليزيد غرض فأيسه ابن عباس منه، وطمع فقطعه وصرفه عنه؟ وهذا المعنى يتناوله حد الجدل السابق إن لم يكن بالنوع القريب الأخص وإلا فالجنس البعيد الأعم. وبين جميع الأشياء قدر مشترك باعتباره يقرب بعضها من بعض، فافهم هذا ها هنا وفيما كان من جنسه.

[٥- بين عبد الله بن جعفر ومعاوية]

ومنها قال المعافي: حدثنا أبو بكر الهذلي، وعبيد الله بن محمد الغساني، عن الشعبي قال: دخل عبد الله بن جعفر بن أبي طالب على معاوية عنده يزيد ابنه، فجعل يزيد يعرض بعبد الله في كلامه وينسبه إلى الإسراف في غير مرضات الله، فقال عبد الله ليزيد: إني لأرفع نفسي عن جوابك ولو صاحب السرير يكلمني لأجبته، قال معاوية: كأنك تظن أنك أشرف منه، قال: إي والله ومنك ومن أبيك ومن جدك، فقال معاوية: ما كنت أحسب أن أحدًا في عصر حرب بن أمية أشرف منه، فقال عبد الله: بلى والله يا معاوية إن أشرف من حرب بن أمية من كفأ عليه إناءه، وأجاره بردائه. قال: صدقت يا أبا جعفر سل حاجتك ! فقضى حوائجه وخرج.

قلت: الذي كفأ إناءه على حرب بن أمية هو عبد المطلب، طلبه أولاده ليقتلوه في أمر كان بينهم فهرب فدخل دار عبد المطلب فغطاه بإناء فتراجعوا عنه ووقفوا له خارج الدار ينتظرون خروجه، فوضع عليه عبد المطلب رداءه، ثم خرج به فعرف القوم رداء أبيهم فلم يعرضوا له.

[٦- بين الحسن بن علي وزياد بن أبي سفيان]

ومنها قال المعافي: حدثنا محمد بن زكرياء، أخبرنا عبد الله بن الضحاك، حدثنا هشام بن محمد، عن أبيه، قال: كان سعيد بن سرح مولى حبيب بن عبد شمس شيعة لعلي بن أبي طالب عليه السلام، فلما قدم زياد – يعني ابن أبي سفيان- الكوفة واليًا عليها أخافه فطلبه زياد فأتى الحسن بن علي فوثب زياد على أخيه وولده وأمر بتفتيشهم وأخذ ماله وهدم داره، فكتب الحسن إلى زياد:

من الحسن بن علي إلى زياد، أما بعد...فإنك عمدت إلى رجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم فهدمت داره وأخذت ماله وعياله فحبستهم، فإذا أتاك كتابي هذا فابن له داره واردد عليه عياله وماله فإني قد أجرته فشفعني به.

فكتب إليه زياد:

من زياد بن أبي سفيان إلى الحسن ابن فاطمة، أما بعد... فقد أتاني كتابك تبدأ فيه بنفسك قبلي وأنت طالب حاجة وأنا سلطان وأنت سوقة.

كتبت إليَّ في فاسق لا يئويه إلا مثله، شر من ذلك توليه إياك وأباك.

وقد علمت أنك قد آويته إقامةً منك على سوء الرأي ورضى منك بذلك. وأيم الله لا تسبنقي به ولو كان بين جلدك ولحمك، وإن نلت بعضك غير رفيق بك ولا مرع عليك، فإن أحبَّ لحم إلي أكلة اللحم الذي أنت منه، فأسلمه بجريرته إلى من هو أولى به منك، فإن عفوت عنه لم أكن شفعتك فهي وإن قتلته لم أقتله إلا بحبه إياك.

فلما قرأ الحسن عليه السلام الكتاب تبسم وكتب إلى معاوية يذكر له حال ابن سرح وكتابه إلى زياد فيه وإجابة زياد إياه، ولف كتابه في كتابه وبعث به إلى معاوية، وكتب الحسن إلى زياد:

من الحسن ابن فاطمة إلى زياد ابن سمية. الولد للفراش وللعاهر الحجر.

فلما وصل كتاب الحسن إلى معاوية وقرأ معاوية الكتاب ضاقت به الشام وكتب إلى زياد:

أما بعد... فإن الحسن بن علي بعث بكتابك إلي جواب كتابه إليك في ابن سرح، فأكثرت التعجب منك وعلمت أن لك رأيين:

أحدهما: من أبي سفيان، والآخر من سمية، فأما الذي من أبي سفيان فحلم وحزم، وأما رأيك من سمية فما يكون رأي مثلها؟ ومن ذلك كتابك إلى الحسن تشتم أباه وتعرض له بالفسق، ولعمري لأنت أولى بالفسق من الحسن، ولأبوك إذ كنت تنسب إلى عبيد أولى بالفسق من أبيه، فإن الحسن بدأ بنفسه ارتفاعًا عليك وإن ذلك لم يضعك. وأما تركك تشفيعه فيما شفع فيه إليك فحط دفعته من نفسك إلى من هو أولى به منك، فإذا قدم عليك كتابي فحل ما في يديك لسعيد بن سرح وابن له داره ولا تعرض له واردد عليه ماله ! فقد كتبت إلى الحسن أن يخير صاحبه إن شاء أن يقيم عنده وإن شاء رجع إلى بلده، ليس لك عليه سلطان بيد ول السان. وأما كتابك إلى الحسن باسمه واسم أمه ولا تنسبه إلى أبيه فإن الحسن – ويلك! – من لا يرمى به الرجوان، أفإلى أمه وكلته لا أم لك؟! هي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتلك أفخر له إن كنت تعقل.

وكتب في أسفل الكتاب[١]: [الطويل]

تَـدَارَكَ مـا ضَـيّعْتَ مِـن بَعْـدِ خِبْـرَةٍ ... وأنـــتَ أَرِيـــبٌ بـــالأُمُورِ خَبيـــرُ
أمَـا حسَـنٌ فـابنُ الـذي كـانَ قبلَـهُ ... إذا سَـــارَ المـــوتَ حيْـــثُ يسِـــيرُ
وهَـــل يَلِـــدُ الريبـــالُ إلاّ نَظِيـــرَهُ ... فـــذا حَسَـــنٌ شِـــبْهٌ لَـــهُ ونَظِيـــرُ
ولكنّـه لـو يُـوزَنُ الحِلْـمُ والحِجَـا ... بِـــرأيٍ لقـــالوا، فـــاعلمنّ: ثَبيـــرُ

قلت: هذه محاورة فلج فيها الحسن ومعاية جميعًا على زياد – لعنه الله – لأنه عاند رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول: " إِنَّ ابْنِى هَذَا سَيِّدٌ"[٢]، "اللهم إني أحبه فأحبه"[٣]، وزياد يعرض له بالفسق ويصرح له بالبغض.

[٧- بين شيعي وجمهوري]

ومنها أن شيعيًا وجمهوريًا تناظرا فقال الشيعي: هل تقر أن الشمسَ ردت على علي عليه السلام؟ قال: لا، قال: ولِمَ؟ قال: لأن الشمس آية السماء ولو ردت لرآها أهل الشرق والغرب ولم تخف على أحد، قال الشيعي: أفتقر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انشق له القمر بنصفين حتى رآه من في الشرق والغرب؟ قال: نعم، قال: أفيقر بذلك اليهود والنصارى؟ قال: لا، قال؟ ولم؟ قال: لأنهم عاندوه وكتموا هذه الآية، قال الشيعي: وكذا أنتم عاندتم عليًا فكذبتم بهذه الآية.

قلت: قد كان للسني أن يفرق من حيث الجدل بين الاثنين بأن انشقاق القمر كان ليلًا في مظنة الخفاء عن بعض الناس لأجل النوم بخلاف رد الشمس، لكن يلزمه بهذا أن يعذر اليهود والنصارى في إنكاره لموضع الجهل، فلا يصح تعليله بعنادهم على أن الدعوى إنما هي حبس الشمس على علي حتى أدرك صلاة العصر كما كان ليوشع بن نون لا ردها بعد أن غربت، وحبسها لا يظهر لكل أحد لبعد المكان، وقد صحح

---

(١) انظر: الجليس الصالح والأنيس الصالح ١/٣٢٠.

(٢) أخرجه البخارى (٢/٩٦٢، رقم ٢٥٥٧)، وأبو داود (٤/٢١٦، رقم ٤٦٦٢)، والنسائى (٣/١٠٧، رقم ١٤١٠). وأخرجه أيضًا: الطبرانى (٣/٣٣، رقم ٢٥٨٨)، والحاكم (٣/١٩١، رقم ٤٨٠٩)، والبيهقى (٨/١٧٣، رقم ١٦٤٨٦).

(٣) أخرجه البخاري (٣/١٣٧٠، رقم ٣٥٣٩)، ومسلم (٤/١٨٨٣، رقم ٢٤٢٢).

الحديث بذلك أبو جعفر الطحاوي والقاضي عياض فيما حكاه شيخنا أبو العباس أحمد بن تيمية في قاعدة الخوارق.

[٨- بين بعض الشيعة وجمهوري]

ومنها أن بعض الشيعة ناظر جمهوريًّا في علي وأبي بكر، فقال الشيعي: [المنسرح]

كم بين من شك في خلافته وبين من قيل إنه الله

يعني: عليًّا، فقال الجمهوري: خذ مثل هذا من النصراني في عيسى ومحمد إذ يقول لك: [المنسرح]

كم بين من شك في رسالته وبين من قيل إنه الله

فانقطع الشيعي.

[٩- بين نصراني ومسلم]

ومنها أن نصرانيًّا ناظر مسلمًا، فقال النصراني: أجمعت أنا وأنت على رسالة المسيح واختلفنا في رسالة محمد، فلنتمسك بالمجمع عليه ونترك المختلف فيه حتى يقوم عليه دليل الإجماع، فقال المسلم: خذ أيها النصراني مثل هذا بعينه من اليهود حيث يقولون لك: أجمعنا وإياك على رسالة موسى واختلفنا في رسالة المسيح إلى آخر ما ذكرت. فانقطع النصران قلت: فلو ورد مثل هذا السؤال من يهودي على مسلم لم يمكنه مثل هذه المعارضة للاتفاق من الملل الثلاث على رسالة موسى، فليعدل إلى دليل الرسالة العام من المعقول والمنقول مستخرجًا من التوراة وغيرها على ما عرف.

[١٠- بين ابن عباس والخوارج]

ومنها مناظرة ابن عباس للخوارج حين اعتزلوا عليًّا فأرسله إليهم، فقال: ما تنقمون على علي؟ قال: ثلاثًا إحداهن أنه حكم الرجال في دين الله ولا حكم إلا لله، والثانية: أنه محا اسمه من إمرة المؤمنين، فإن كان أمير المؤمنين فقد أخطأ بمحو اسمه، وإن لم يكن قد كان كذلك فقد أخطأ بتسميه بأمير المؤمنين، والثالثة: أنه لما ظهر على أخصامه يوم الجمل لم يجهز على الجرحى ولم يسب النساء والذرية.

obeikandl.com

فقال ابن عباس: أما تحكيمه الرجال في دين الله فأنا وأنتم نشهد أن الله عز وجل حكم الرجال في دينه في الصيد يقتله المحرم حيث قال: ﴿مَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥] ولو لم يكن تحكيم الرجال في الدين عند الحاجة إليه جائزًا لما فعله الله عز وجل.

قالوا: صدقت يا ابن عباس.

قال: أما محو اسمه من إمرة المؤمنين، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم محا اسمه من الرسالة يوم الحديبية لما أبى عليه كفار قريش إلا ذلك وكتب اسمه واسم أبيه، ولو لم يكن ذلك جائزًا عند الحاجة لما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قالوا: صدقت يا ابن عباس.

قال: وأما عدم إجهازه على الجرحى وسبيه النساء والذرية فأيكم كان يطيب نفسًا أن يأخذ عائشة أم المؤمنين زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة سبية له.

قالوا: لا أحد منا تطيب نفسه بذلك، صدقت يا ابن عباس.

فرجع منهم بهذه المناظرة إلى علي ألفان أو أربعة آلاف.

[١١- بين أبي الأسود الدؤلي وامرأته]

ومنها ما ذكر في كتاب "نزهة القلوب والنواظر وأنس المقيم وزاد المسافر":

قال أبو عبيدة: جرى بين أبي الأسود الدؤلي وبين امرأته كلام في ابن كان لها منه وأراد أخذه منها، فصار إلى زياد وإلى البصرة، فقالت المرأة: أصلح الله الأمير ! هذا ابني كان بطني وعاءه وحجري فناءه، وثديي سقاءه، أكلأه إذا نام وأحفظه إذا قام، فلم أزل كذلك سبعة أعوام حتى استوى فصاله، وكملت خصاله، واشتدت أوصاله، فحين رجوت نفعه وأملت دفعه أراد أبوه أخذه مني قهرًا، فأدلني أيها الأميرعليه فقد رام قسري وأراد قهري.

فقال أبو الأسود: أصلحك الله ! هذا ابني حملته قبل أن تحمله ووضعته قبل أن تضعه، وأنا أقوم عليه في أدبه وأنظره في أوده، أمنحه علمي، وألهمه حلمي حتى يكمل عقله ويستحكم فتله.

فقالت المرأة: صدق أصلحك الله ! حمله خفًّا وحملته ثقلًا ووضعته شهوة ووضعته كرهًا، فقال زياد: اردد على المرأة ولدها فهي أحق به منك، ودعني من سجعك !

قلت: زياد هذا هو ابن أبي سفيان أخو معاوية وقد جار على أبي الأسود في قضائه إذ الحكم في هذه القضية أن يخير الغلام بين أبويه فيكون مع من اختار منهما كما صحت به السُّنَّة النبوية، ولعل زيادًا ضاز بذلك أبا الأسود؛ لأنه كان من شيعة علي كما سبق من إصراره بابن سرح لذلك.

[١٢- بين ابن عباس والفاروق عمر]

ومنها محاورة ابن عباس لعمر بن الخطاب، روى الطبري في تاريخه قال: حدثنا بان حميد قال: حدثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق، عن رجل، عن عكرمة، عن ابن عباس.

قال: بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعض أصحابه يتذاكرون الشعر فقال بعضهم: فلان أشعر، وقال بعضهم: بل فلان أشعر ! قال: فأقبلت، فقال عمر: قد جاءكم أعلم الناس بها، فقال عمر: من شاعر الشعراء يا ابن عباس؟ فقلت: زهير بن أبي سلمى، فقال عمر: هلم من شعره ما يستدل على ما ذكرت، فقلت: امتدح قومًا من بني عبد الله بن غطفان فقال[1]: [البسيط]

لو كانَ يَقعُدُ فَوقَ الشَمسِ مِن كَرَمٍ قَــومٌ بِــأَوَّلِهِم أَو مَجــدِهِم قَعَــدوا

---

(١) انظر: كتاب الكليات (٢١٨/١) وشرح نهج البلاغة (٥٢/١٢) وأمالي القالي (١٠٦/١) والعقد الفريد (٧٣/١، ٨٣) والعمدة في محاسن الشعر (١٣١/١) وجمهرة أشعار العرب (١٨/١) وخزانة الأدب (١٢/٢) ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص (٢١٤/٢) ونهاية الأرب (١٧٧/٣) والرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي وساقط شعره (٤٠/١) والمنصف للسارق والمسروق (٧١/١) والموازنة للآمدي (٣٤/١، ٥٦).

قَـومٌ أَبـوهُم سِـنانٌ حـينَ تَنسُـبُهُم طابوا وَطابَ مِنَ الأولادِ ما وَلَدوا
إنــسٌ إذا أمِنُــوا جِــنٌّ إذا فزِعُــوا مُــرَزَّؤنَ بهاليــلٌ إذا احْتَشَــدوا
مُحَسّـدون علَـى مـا كـانَ مـن نِعَـمٍ لا ينــزعُ اللهُ مــنهمْ مالَــهُ حُسِــدوا

فقال عمر: أحسن وما أعلم أحدًا أولى بهذا الشعر من هذا الحي من بني هاشم لفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابتهم منه، فقلت: وفقت يا أمير المؤمنين، ولم تزل موفقًا، قال: أتدري يا ابن عباس ما منع قومك منكم بعد محمد صلى الله عليه وسلم؟ فكرهت أن أجيبه فقلت: إن لم أكن أدري فأمير المؤمنين يدريني، فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا له النبوة والخلافة فتبجحوا على قومكم بجحًا بجحًا، فاختارت قريش لنفسها فأصابت ووفقت، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن تأذن لي في الكلام وتمط عني الغضب تكلمت. فقال: تكلم يا ابن عباس، فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين: اختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت، فلو أن قريشًا اختارت لأنفسها حيث اختار الله عزو جل لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود، وأما قولك: إنهم كرهوا أن تكون لنا النبوة والخلافة، فإن الله عز وجل وصف قومًا بالكراهية فقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد:٩]، فقال عمر: هيهات والله يا ابن عباس، فقد كانت تبلغني عنك أشياء كنت أكره أن أفرك عنها فتزيل منزلكتك مني، فقلت: وما هي يا أمير المؤمنين؟ فإن كانت حقًّا فما ينبغي أن تزيل منزلتي منك وإن كانت ماطلًا فمثلي أماط الباطل عن نفسه، فقال عمر: بلغني أنك تقول إنما صرفوها عنا حسدًا وظلمًا، فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين ظلمًا فقد تبين للجاهل والحليم، وأما قولك حسدًا فإن إبليس حسد آدم صلوات الله عليه، فنحن ولده المحسودون، فقال عمر: هيهات هيهات !أبت والله فلوبكم يا بني هاشم إلا حسدًا مايحول وضغنًا وغشًّا ما يزول، فقلت: مهلًا يا أمير المؤمنين لا تصف قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا بالحسد والغش، فإن قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قلوب بني هاشم، فقال عمر: إليك عني يا ابن عاس، فقلت: أفعل، فلما ذهبت قوم استحى مني، فقال: يا ابن عباس، مكانك، فوالله إني لراع لحقك محب لمسرك، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن لي عليك حقًّا، وعلى كل مسلم فمن حفظه فحظه أصاب، ومن أضاعه فحظه أخطأ، ثم قام فمضى.

قلت: فهذه مناظرة فلج فيها ابن عباس على عمر، لا يقال إن راويها ابن إسحاق وهو متكلم فيه عن رجل مجهول لأنا نقول: إن ابن إسحاق ثقة وثقة أكثر الأئمة ورووا عنه. وليس ترك البخاري ومسلم الرواية عنه قادحًا فيه؛ لأنهما تركا الرواية عن جماعة من الأئمة الثقات لعلل لا ترجع إلى العدالة، وإنما تكلم فيه مالك كلام غضب وجرح ومقابلة له على قوله: أنا طبيب بعلل حديث مالك، وقد تكلم السهيلي على ذلك في أول "الروض الأنف " بما يظهر به الصواب إن شاء الله سبحانه وتعالى.

وأما الرجل المجهول فغايته أن لا يذكر أصلًا فيكون الحديث مرسلًا، وهو عند الجمهور مقبول، ومن نضر في هذه المناظرة بعين التدبير والاستبصار علم بشواهد الأحوال والقرائن الخارجة المصدقة لها أنها حق ليس عليه غبار.

[١٣- بين عثمان ومروان وابن عباس]

ومنها مناظرة جرت بين عثمان ومروان وابن عباس، قال المعافي: حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي، حدثنا عبد الرحمن بن منصور، قال: حدثنا العتبي عن أبيه قال: بعث عثمان إلى ابن عباس وهو محصور فأتاه وعند مروان ابن الحكم، فقال عثمان: أما ترى إلى ابن عمك، كان هذا الأمر في بني قيم وعدي فرضي وسلم، حتى إذا صار الأمر إلى ابن عمه بغاه الغوائل. قال ابن عباس: فقلت له: ابن عمي والله ما زال عن الحق ولا يزول، ولو أن حسنًا وحسينًا بغيا في دين الله الغوائل لجاهدهم ا في الله حق جهاده، ولو كنت كأبي بكر وعمر لكان لك كما كان لهما بل كان أفضل لقرابتك ورحمك وسنك، ولكنك ركبت الأمر وهاياه، قال ابن عباس: فاعترضني مروان، فقال: دعنا من تخطبك يا ابن عباس، فأنت كما قال الشاعر[(١)]: [الوافر]

دعوتـــك للغيـــاث ولســـت أدري ... أمـــن خلفـــي المنيـــة أم أمـــامي
فشـــققت الكـــلام رخـــى بـــالٍ ... وقـــد جـــل الفعـــال عـــن الكـــلام

---

(١) انظر: الجليس الصالح والأنيس الصالح ٢٩١/١.

إن يكن عندك غياث لهذا الرجل فأغثه وإلا فما أشغله عن التفهم لكلامك والفكر في جوابك! قال ابن عباس: فقلت له: هو والله كان عنك وعن أهل بيتك أشغل إذا أوردتموه ولم تصدروه، ثم أقبلت على عثمان فقلت له[1]: [الوافر]

جعلت شعار جلدك قوم سوء وقد يجزى المقارن بالقرين
فما نظروا لدنيا أنت فيها بإصلاح ولا نظروا لدين

ثم قلت له: إن القوم غير قابلين إلا قتلك أو خلعك فإن قتلت قتلت على ما قد علمت وإن تركت فباب التوبة مفتوح.

قلت: هذه مناظرة فلج فيها ابن عباس على عثمان ومروان جميعًا، وقد كانت سبقت بين علي وعثمان مناظرة في هذا المعنى ذكرها الطبري في تاريخه فلج فيها علي على عثمان، ولست أستحضرها الآن فإن تذكرتها ألحقتها إن شاء الله سبحانه وتعالى.

(١) انظر: الجليس الصالح والأنيس الصالح ١/٢٩١.

obeikandl.com

[١٤- من محاورات النبي صلى الله عليه وسلم]

وأما محاورات النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه فكثيرة، وقد كان يجب في حسن الترتيب البدء بها على ما بعدها لكن لم يتهيأ لي ذلك.

فمنها قوله لأصحابه في تعديد أنواع جهات الصدقة: "في كذا صدقة، وفي كذا صدقة وَفِى بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ " قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَيَأْتِى أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ ويؤجر؟ قال: "نعم، أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِى الْحَرَامِ أَكَانَ يأثم؟ " قالوا: نعم، قال: "فكذلك "[(١)].

قلت: هذا من باب قياس العكس ومعناه أن ما عوقف على فعله أثيب على تركه؛ لأن الطاعة فعل المأمور وترك المحظور كما أن المعصية عكس ذلك.

ومنها أن رجلًا من بني فزارة قال: يا رسول الله، إن امرأتي جاءت بولد أسود ونحن أبيضان، يعرض بنفيه عنه، فقال له النبي عليه السلام: " هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟ " قال: نعم، قال: " فَمَا أَلْوَانُهَا؟ " قال: بيض وحمر، قال: " فَهَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ؟ " قال: نعم، قال: "فأنى لها ذلك؟" قال: لَعَلَّ عِرْقًا نَزَعَها، قال: "وهذا لَعَلَّ عِرْقًا نَزَعَهُ "[(٢)].

قلت: هذا قياس في معنى الأصل بتنقيح المناط وإلغاء الفارق وهو كون هذه امرأة وهذه إبلًا، والمراد أن الولد قد ينزع بالشبه إلى بعض أجداده أو جداته في اللون أو غيره أي ذلك كان.

ومنها أنه عليه السلام دخل على عبد الله بن أُبي بن سلول المنافق وهو في الموت وقد كرب له، فقال له النبي عليه السلام: " قد كنت أنهاك عن مسالمة يهود ومواداتهم " فقال عبد الله: فقد حاربهم سعد بن معاذ فمات.

قلت: فهم المنافق أن النبي صلى الله عليه وسلم علل موته بمسالمة يهود فأبطل العلة من جهة العكس، أي: لو كانت مسالمتي يهود مؤثرة في موتى لوجب أن يكون ضدها وهو محاربتهم مؤثرة في بقاء من يحاربهم حتى لا يموت، وليس الأمر كذلك، فإن سعد بن معاذ حاربهم ومع ذلك مات. قلت: وقد أخطأ المنافق في فهمه فإن النبي

---

(١) أخرجه مسلم (٢/٦٩٧، رقم ١٠٠٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٤/٤٩٣، رقم ٢١٢٨)

عليه السلام لم يعلل موته بمسالمة يهود، كيف وهو يعلم وكل عاقل أن الموت حتم على كل كافر ومؤمن ومطيع وعاص، وإنما النبي صلى الله عليه وسلم رآه قد احتضر وعلم من الله ما لم يعلم هو من مصيره إلى العذاب الأليم بنفاقه، وكان من جملة نفاقه مسالمته يهود وموالاته إياهم، فندمه على ذلك كأنه قال: إنك نافقت ووالیت يهود الذين هم أشد أعداء الإسلام، وها أنت تموت فلا ينفعونك بتخفيف ما أنت فيه من كرب السياق ولا ما بعده من عذاب الآخرة الأليم المذاق والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

[١٥- بين أبي الأسود الدؤلي والسائل]

ومن المحاورات البديعة العجيبة ما حكي أن أبا الأسود الدؤلي وهو من المذكورين في البخل وقف على بابه سائل وهو يأكل، فقال: السلام عليكم، فقال أبو الأسود: كلمة مقولة، قال: أدخل؟ قال: وراؤك أوسع، قال: إن الرمضاء قد أحرقت رجلي، قال: بل عليها، وأغلق دونه الباب.

[١٦- بين أبي الأسود الدؤلي وأعرابي]

ووقف عليه أعرابي وهو يتغذى فسلم عليه فرد عليه ثم أقبل على الأكل ولم يعرض عليه، فقال له الأعرابي: أما إني مررت بأهلك، قال: كان ذلك طريقك، قال: وهم صالحون، قال: كذلك فارقتهم، قال: وامرأتك حبلى، قال: كذلك كان عهدي بها، قال: فإنها ولدت، قال: ما كان بد لها من أن تلد، قال: ولدت غلامين، قال: كذا كانت أمها، قال: مات أحدهما، قال: ما كانت تقوى على رضاع اثنين، قال: ثم مات الآخر، قال: ما كان ليبقى بعد أخيه، قال: وماتت الأم، قال: جزعًا على ولديها، قال: ما أطيب طعامك، قال: ذلك جرأني على أكله، قال: أف لك،ما ألأمك، قال: من ساء سب صاحبه.

[١٧- بين مرة بن حنظلة التميمي وأبيه]

ومنها أن مرة بن حنظلة التميمي كان عاقًّا لأبيه وكان أبوه له قاليًا أي مبغضًا لعقوقه، فقال له في بعض ما عتب عليه: إنك لمر يا مرة ! قال: أعجبتني حلاوتك يا حنظلة، قال: لقد كنت مشومًا على إخوتك إذ أفنيتهم، قال: ما أكثر عمومتي يا مبارك، قال: لعن الله أمًّا ولدتك؟ قال: إذا لقحت منك، قال: أنت بأمك أشبه، قال: ما كانت بشر من أم زوجها، قال: إنك لكثير الشر، قال: من أشبه أباه فما ظلم، قال: قد يخرج الله الخبيث من الطيب، قال: كذلك أنت من أبيك، قال: إنك لخبيث كاسمك، قال: أخبث مني من سماني، قال: لا يعلم الله مني إلا خير، قال: مادح نفسه يقرئك السلام، قال: سود الله وجهك، قال: بيض الله عينيك، قال: والله لئن قمت لأبطشن بك، قال: ما تراك أبطش مني، قال: وإن فعلت تفعل، قال: وأنت من ذلك في شكٍّ، فسكت وتركه.

قلت: هذه من بدائع المحاورات وهي أكمل مما ذكرت، لكن ذهب عني بعضها فأملأت الحاصل منها.

[١٨- بين أم جعفر بن يحيى والرشيد]

ومن المحاورات المبينة والمناظرات المتينة محاورة أم جعفر بن يحيى للرشيد بعد قتله جعفرًا في يحيى شافعةً له، وذلك فيما روى الجاحظ عن سهل بن هارون الكاتب، قال: كانت أم جعفر بن يحيى وهي فاطمة ابنة محمد بن الحسن بن قحطبة أرضعت الرشيد مع جعفر، كان ربي في حجرها؛ لأن أمه ماتت عن مهده. فكان الرشيد يشاورها مظهرًا لإكرامها التبرك برأيها. وكان آلى وهو في كفالتها أن لا يحجبها ولا استشفعته إلا شعفها وآلت أم جعفر أنها لا دخلت عليه إلا مأذونًا لها ولا شفعت لأحدٍ تعرض ذنبًا.

قال سهل: فكم أسير فكت ومتهم عنده فتحت ومستغلق منه فرجت، فلما قتل الرشيد جعفرًا بالرقة واستظهر على باقي البرامكة احتجب بعد قدومه إلى بغداد، فطلبت أم جعفر الإذن عليه من دار بنت المهدي أخت الرشيد ومتت بوسائلها إليه فلم يأذن لها ولا أمر فيها بشيء، فلما طال ذلك خرجت كاشفة وجهها واضعة لثامها محتفية في مشيها حتى صارت بباب قصر الرشيد فدخل عبد الملك بن الفضل الحاجب، فقال: ظئر أمير المؤمنين بالباب في حالة تقلب شماتة الحاسد إلى شفقة أم الواحد، فقال

الرشيد: ويحك يا عبد الله، أو ساعية؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، حافية، قال: أدخلها يا عبد الله فرب كبد كريم غذتها، وكربة فرجتها، وعورة سترتها، قال سهل: فمهما شككت فيه قط فما شككت يومئذٍ في النجاة بطلابها وإسعافها بحاجتها.

فدخلت فلما نظر الرشيد إليها داخلة محتفية قام محتفيًا حتى يلقاها من عمد المجلس وأكب على تقبيل رأسها ومواضع ثديها ثم أجلسها معه، فقالت: يا أمير المؤمنين أيعدو علينا الزمان ويجفونا خوفًا لك الأعوان، ويحرد بك نبأ البهتان وقد ربيتك في حجري وأخذت برضاعتك الأمان من عدوي ودهري، قال لها: وما ذاك يا أم الرشيد؟ قال سهل: فآيسني من رأفته بتركه كنيتها آخرًا ما كان أطعمني أولًا من بره بها، قالت: ظئرك يحيى وأبوك بعد أبيك، ولا أصفه بأكثر مما عرفه به أمير المؤمنين من نصيحته له وإشفاقه عليه وتعرضه للحتف من أجل موسى أخيه. قال: يا أم الرشيد، أمر سبق وقضاء حم، وغضب من الله نفذ، قالت: يا أمير المؤمنين، يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب، قال: صدقتِ، فهذا ما لم يمحه، قالت: الغيب محجوب عن النبيين فكيف عنك يا أمير المؤمنين ! قال سهل ابن هارون: فأطرق الرشيد مليًا ثم قال[1]: [الكامل]

وَإِذَا الْمَنِيَّــةُ أَنْشَــبَتْ أَظْفَارَهَــا ... أَلْفَيْــتَ كُــلَّ تَمِيمَــةٍ لا تَنْفَــعُ

قالت بغير روية: ما أنا ليحيى بتميمة يا أمير المؤمنين، وقد قال الأول[2]: [الكامل]

وإذا افتقرتَ إلى الذَّخائرِ لم تجدْ ... ذُخــراً يكــونُ كصــالِحِ الأعمــالِ

هذا بعد قول الله عز وجل: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] فأطرق هارون مليًا، ثم قال: يا أم الرشيد[1]: [الطويل]

---

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي من قصيدة من الكامل قالها وقد هلك له خمس بنين في عام واحد وكانوا فيمن هاجر إلى مصر فرثاهم بهذه القصيدة، وأولها:

أمن المنون وريبها تتوجع... والدهر ليس بمعتب من يجزع

انظر: البديع لابن المعتز (٣/١) وتاج العروس (٢٦٨/٤) ومختصر المعاني (٢٣٣/١) ومفتاح العلوم (١٦٩/١) والإيضاح في علوم البلاغة (٢٩١/١) وسر الفصاحة (١٢٥/١) وأمالي القالي (٢٥٩/٢) والسحر الحلال (٧٩/١) والصناعتين (٢٨٤/١) ومعاهد التنصيص (١٦٣/٢).

(٢) البيت للأخطل، وهو في ديوانه ١٥٨/١.

إذا انصرفتْ نفسي عن الشَّيْءِ لم تكَدْ إليهِ بِوَجْهٍ آخِرَ الدَّهْرِ تُقْبِلُ

قالت: يا أمير المؤمنين، وهو الذي يقول: [الطويل]

ستقطع في الدنيا إذا ما قطعتني يمينك فانظر أي كيف تبدل

قال هارون: رضيت.

قالت: يا أمير المؤمنين، فهبه لله فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من ترك شيئًا لله لم يوجده الله فقده " فأكب هارون مليًّا ثم رفع رأسه يقول: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم: ٤، ٥].

قالت: فأذكرك يا أمير المؤمنين أليتك: لا استشفعتك إلا شفعتني.

قال: وأذكرك يا أمر الرشيد أليتك أن لا شفعت لمتعرض ذنبًا.

قال سهل بن هارون: فلما رأته يصرح بمنعها ولاذ عن مطلبها أخرجت حقًّا من زمردة خضراء فوضعته بين يديه فقال الرشيد: ما هذا؟ ففتحت عنه قفلًا من ذهب فأخرجت منه قميصه وذوائبه قد غمس جميع ذلك في المسك، فقالت: يا أمير المؤمنين، أستشفع إليك، وأستعين بالله عليك، وبما صار معي من كريم جسدك وطيب جوارحك ليحيى عندك.

قال: فأخذ ذلك هارون فلثمه ثم استعبر وبكى بكاءً شديدًا وبكى أهل المجلس ومر البشير إلى يحيى ولا يظن إلا أن البكاء رحمة له ورجوع عنه. فلما أفاق رد جميع ذلك إلى الحق، وقال لها: لحسن ما حفظت الوديعة، قالت: وأهل للمكافأة أنت يا أمير المؤمنين، فسكتو وأقفل الحق دفعه إليها، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ قالت: ويقول عز وجل: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ [النساء: ٥٨]، ويقول: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: ٩١] قال: وما ذاك يا أمر الرشيد؟ قالت: ما أقسمت لي

=

(١) البيت لأوس بن حجر انظر: الحماسة ٩/٢.

به أن لا تحجبني ولا تمتهنني. قال: أحب يا أم الرشيد أن تشربنيه؟ محتكمة فيه. قالت: أنصفت يا أمير المؤمنين وقد فعلت غير مستعلية لك ولا راجعة عليك. قال: بكم؟ قالت: برضاك عمن لم يسخطك. قال: يا أم الرشيد، فما لي عليك من الحق مثل الذي لهم.

قالت: بلى يا أمير المؤمنين أنت أعز علي وهم أحب إلي. قال: فتحكمي في ثمنه بغيرهم، قالت: بل وهبتكه وجعلتك منه في حل. وقامت عنه وبقي مبهوتًا لا يحير لفظة.

قال سهل: وخرجت ولم تعد ولا والله إن رأيت لها عبرة ولا سمعت لها أنة.

obeikandl.com

[١٩- بين ماني بن حماد الزنديق وموبذان موبذ]

ومن المناظرات المختصرة القاطعة أن ماني بن حماد الزنديق الذي تنسب إليه المانوية وتعده نبيهًا ظهر على أيام بعض الأكاسرة هو سابور بن أردشير فجمع بينه وبين حكيم كسرى موبذان موبذ أو غيره من حكماء الفرس، فقال لماني: ما تقول؟ قال: أقول إن النور والظلمة أصل العالم منه تركبًا وهما قديمان، وإن الظلمة غلبت على النور حتى غشيته في أجرام العالم وهو يجتهد على الخلاص منها واللحوق بمقره العلوي، وإنما يكون ذلك بانحلال تركيب الأجسام ليرجع كل شيء منها إلى عنصره. قال له الفارسي: فقد لزمك بمقتضى قولك أن تخلص نور جسمك من ظلمته بانحلال تركيبه وذلك بأن تقتل؛ لأن ذلك عندك خير وتعجيل الخير أولى من تأخيره. ثم أمر به كسرى فقتل.

[٢٠- بين الوالي بالبصرة ورجل يخنق الناس بالبصرة ولا يسلبهم ثيابهم]

ومن هذا الباب ما رواه المعافي بن زكرياء في كتابه قال: أخذ الوالي بالبصرة رجلًا يخنق الناس بالبصرة ولا يسلبهم ثيابهم، فقال له: ويلك، ولم تفعل هذا؟ إذا كنت ما ترغب في ثياب الرجل وما له فلم تقتله؟ قال: أما أول ذلك فإنني ألحق المخلوق بالخالق، والثانية إن هذه الأرواح محتبسة في هذا الأجسام فأخلصها تلحق الهيولى والصفاء.

قال: فلم لا تخلص نفسك أنت؟ قال: أخلص مائة نفس أحب إلي من أن أخلص نفسًا واحدة، على أن نفسي لا بد لها من مخلص ونفسي نفس طاهرة وأنفس هؤلاء قدره، وأيضًا يخف عنا السفل ولا يزاحمونا في الأمور، ويطيب الهواء وتتسع الديار وينقطع الغبار. وبعد فكل من كان من أهل الخير ألحقته بالخير الذي له في الآخرة، وأيضًا إن كان الإنسان في هذه الدنيا في ضيق أرحته منه وإن كان فاسد الكيموس أرحته وإن كان سفلة أرحت الكرام من معاشرته.

قال: وحكي لنا عن أبي شاكر الديصاني – والديصانية ضرب من الثنوية – أنه اشترى كارة دقيق وحملها على رأس رجل شيخ، فلما صار إلى داره سأل الحمال عن سنه ورأى ضعف جسمه فأخبره بسن عالية وسأله عن عياله ومعيشته فذكر له سوء حاله

وكثر عياله فقال: لقد رحمتك ورققت لك وأريد أن أريحك وأميط الشقاء عنك، فأضجعه وذبحه.

قلت: ليس العجب من هذه العقول ولكن العجب من قدرة أضلتها وإرادة خذلتها ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [غافر: ٣٣] والله سبحانه وتعالى أعلم.

[٢١- بين هارون الرشيد وملك السند ومعمر بن عباد]

وذكر القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني في "طبقات المعتزلة " قال: ومن هذه الطبقة – يعني طبقتهم الخامسة – معمر بن عباد، ويقال لما منع الرشيد من الجدال في الدين كتب إليه ملك السند: إنك رئيس قوم لا ينصفون ويقلدون الرجال ويغلبون بالسيف، فإن كانت على ثقة من دينك فوجه إلى من أناظره، فإن كان الحق معك تبعتك وإن كان معي تبعتني، فوجه إليه بعض القضاة وكان عند ملك السند رجل من السمنية وهو الذي حمله على هذه المكاتبة، فلما وصل القاضي إلى ملك السند أكرمه ورفع مجلسه، فسأله السمني، فقال: أخبرني عن معبودك أهل هو قادر؟ قال: نعم، قال: فهو قادر على أن يخلق مثله، فقال القاضي: هذه المسألة من الكلام والكلام بدعة، وأصحابنا ينكرونه. فقال السمني: ومن أصحابك؟ قال: محمد بن الحسن وأبو يوسف وأبو حنيفة، فقال السمني: قد كنت أعلمتك دينهم وأخبرتك، بجهلهم وتقليدهم وغلبتهم بالسيف.

قال: فأمر ذلك الملك القاضي بالانصراف وكتب معه إلى الرشيد: إني كنت بدأتك بالكتاب وأنا على غير يقين مما حكى لي عنكم، والآن قد تيقنت ذلك بحضور هذا القاضي وبالله نستعين في جميع أمورنا. وحكى له في الكتاب ما جرى. قال: فلما ورد ذلك على الرشيد قامت قيامته وضاق صدره، وقال: ليس هذا الدين من يناضل عنه، قالوا: بلى يا أمير المؤمنين، وهم الذين نهيتهم عن الجدال في الدين وجماعة منهم في الحبس. فقال: أحضروهم ! فلما حضروا قال لهم: ما تقولون في هذه المسألة؟ فقال صبي من بينهم: هذا السؤال محال؛ لأن المخلوق لا يكون إلا محدثًا، والمحدث لا يكون مثل القديم فقد استحال أن يقال: يقدر أن يخلق مثله أو لا يقدر، كما استحال أن يقال: يقدر أن يكون جاهلًا أو عاجزًا. فقال الرشيد: وجهوا بهذا الصبي إلى السند حتى

يناظرهم! فقالوا: إنه لا يؤمن أن يسألوه عن غير هذا، فيجب أن توجه إليهم عالمًا يفي بالمناظرة في كل العلوم. قال الرشيد: فمن لهم؟ فوقع اختيارهم على معمر فأمر الرشيد بإخراجه إلى ملك السند وإزاحة علته وأمر له بثلاثة آلاف دينار. فخرج معمر فلما قرب من السند وبلغ خبره ملك السند خاف السمني أن يفتضح على يديه فقد كان عرفه من قبل، فدس إليه من سمه في الطريق فقتله.

[٢٢- بين هارون الرشيد وملك السند وأبو كلدة]

وهذه الحكاية التي وعدنا بها أول الكتاب وقد ذكرها عبد الجبار بنحوها في أبي كلدة فقال: ومن هذه الطبقة أبو كلدة، وذكر أبو الحسين الخياط أن بعض ملوك الهند كتب إلى الرشيد ليوجه إليه رجلًا من علماء المسلمين ليعرفه الإسلام، وذكر أن عنده رجلًا من أهل العلم حتى يجاجه ويناظره.

قال: فوجه إليه هارون شيخًا من المحدثين وكتب إليه: قد وجهت إليك شيخًا عالمًا. فخاف الرجل الهندي الذي كان عند ملك الهند أن يكون من أهل الكلام فيفضحه، فوجه برجل في السر يتعرف خبره فلقيه في الطريق فوجده صاحب حديث فرجع إلى صاحبه وأخبره فسر بذلك.

فلما ورد على ملك الهند جمع بينه وبين صاحبه وجمع لهما علماء أهل مملكته فقال له الهندي: ما الدليل على أن دينك حق؟ فقال له المحدث: حدثنا سفيان الثوري بكذا، وحدثنا شعبة كذا، وحدثنا ابن عون بكذا، فأكثر من رواية الحديث والهندي ساكت، فلما أتى على ما أراد قال له الهندي: من أين علمت أن هذا الرجل الذي رووا لك عنه الروايات صادق فيما ادعاه من النبوة؟ فتلا عليه آيات من القرآن كقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩] وما أشبهه، فقال له الهندي: من أين علمت أن هذا الكلام جاء من عند الله؟ ولعل صاحبك علمه ووضعه، فلم يدر ما يقول وسكت.

فأجازه الملك وكتب إلى هارون بخبره وذكر: إن الذي وجهته لا يصلح لما أراده منه وإنما نريد رجلًا متكلمًا ليحتج لأصل الإسلام. فلما ورد الكتاب والمحدث على هارون قال: اطلبوا لي رجلًا متكلمًا، فقيل له: أنت تقتلهم وتخلدهم في المطابق فكيف تجدهم؟ فقال: وخبروه وآمنوهم ! فوجدوا أبا كلدة، فقيل له: أتثق بنفسك وعلمك؟

وخبروه الخبر، فقال: أنا له إن شاء الله، فوجه به الرشيد في موكب وكتب إلى ملك الهند: قد وجهت إليك رجلًا متكلمًا من أهل ديني، فلما كان في بعض الطريق وجه إليه الهندي من يختبره، فلما وجده متكلمًا دس إليه سمًّا فقتله قبل أن يصل إلى ذلك الملك.

قلت: وقد حكي أن الرجل في إحدى هاتين القصتين كان ثمامة بن أشرس كما ذكر أول الكتاب، وأحسب أن القصة واحدة لكنها اختلفت على الرواة فنقلوها متعددة مع أن تعددها غير ممتنع مع أن في النفس من صحتها شيئًا، وذلك أن الرشيد كان كاسمه رشيدًا عاقلًا لبيبًا حازمًا عنده من الأدب والفطنة ما يرغب به عن أن يستعمل في كل أمر غير أهله، وكان له من الوزراء مثل يحيى بن خالد وابنه جعفر ونظرائهم بعد وفاتهم، وفي عصره مثل الشافعي وأضرابه من الأئمة فيبعد جدًّا أن يلتقي الكفار القادحين في أصول الشريعة بمحدث صرف. ولا يبعد أن هذه من موضوعات المعتزلة لينفقوا بها سوقهم ويروجوا بها مدح أنفسهم، ولئن ثبتت هذه عن الرشيد فلقد ترك الحزم وتقلد من أصل الدين أمرًا عظيمًا حيث تغافل عن الهند فلم يؤاثر عليهم فضلاء المتكلمين حتى يكشفوا شبهتهم ويعرفوهم ضلالهم وصحة الملة الحنيفية ولا يتركوهم على غيهم بحيث يظنون أن الإسلام ليس بشيء، وأن مستنده ما سمعوه من مشايخ الحديث، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

وفي كتاب "طبقات المعتزلة " كثير من مناظراتهم ومباحثهم، وكذلك في سائر الكتاب من مناظرات الناس، ولا سبيل لنا إلى استيعاب ذلك وإنما ذكرنا منه نغبة من بحر وبقعة من بر.

[من محاورات الفصحاء البليغة المشبهة للمناظرات الجدلية]

لنختم الكتاب الآن بشيء من محاورات الفصحاء البليغة المشبهة للمناظرات الجدلية وإن لم تكن داخلة تحت حدودها الرسمية.

[٢٣- بين خالد بن الوليد وعبد المسيح بن عمرو بن بقيلة]

فمن ذلك ما ذكر في كتاب " نزهة القلوب " في الباب التاسع منه في البلاغة من ذوي الألباب في حسن المعارضة والجواب: قال أبو الطيب: روي أن خالد بن الوليد لما قدم من اليمامة خرج وضرب عسكره بين أبيات الحيرة ونهرها على الجرعة، وتحصن منه أهل الحيرة في قصورهم الأربعة: قصر الأبيض وقصر العداس، وقصر بني ثعلبة، وقصر الطين، وأقبل ومعه ضرار بن الأزور الأسدي حتى وقف عند قصر بني ثعلبة فقال: ابعثوا لنا رجلًا من عقلائكم وذوي أسنانكم ! فبعثوا إليه بعبد المسيح بن عمرو بن بقيلة فأقبل يدب في مشيته فقال خالد: بعثوا إلينا شيخًا لا يفقه شيئًا، فدنا منه فقال: أنعم الله صباحك أبيت اللعن يا خالد، قال خالقد: قد جاء الله بغير هذه التحية، أين أقصى أثرك؟ قال: ظهر أبي، قال: من أين خرجت؟ قال: قال: من بطن أمي، قال: على ما أنت؟ قال: على الأرض. قال: ففيم أنت؟ قال: في ثيابي، قال: أتعقل ما تقول؟ قال: نعم وأقيد. قال: ابن كم أنت؟ قال: ابن رجل واحد، قال: ما رأيت كاليوم قطُّ، أسألك عن شيء وتنحو غيره. قال: ما أجبتك إلا عما سألتي عنه. ثم قال: فسل عما شئت ! قال: أحرب أنت أم سلم؟ قال: بل سلم، قال: فما بال هذه الحصون:؟ قال: بنيناها للسفيه حتى يأتيه الحليم ينهاه. قال: كم أتى عليك من السنين؟ قال: ثلاث مائة وخمسون. قال: فما أدركت؟ قال: أدركت سفن البحرين في هذا الجرف، ورأيت المرأة من الحيرة تضع مكتلها على رأسها ثم تخرج حتى تأتي الشام في قرى متصلة قد أصبحت خرابًا، وذلك دأب الله في البلاد والعباد. قال: ومعه سم ساعة، قال خالد: ما هذا معك؟ قال: سم ساعة. قال: ما دعاك إليه؟ قال: إن يكن عندك ما يوافق أهل بلدي حمدت الله وقبلته، وإن تكن الأخرى لم أكن أول من ساق إلى قومه ذلًا بل آكله وأستريح. فأخذه خالد، وقال: بسم الله وبالله، بسم الله رب الأرض والسماء، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، ثم أكله

وتجللته غشية ورشح جبينه عرقًا وقام كأنما أنشط من عقال، فرجع عبد المسيح إلى قومه، وقال: جئتكم من عند شيطان رجيم، أعطوا هؤلاء القوم ما سألوا ! فصالحوهم على مائة ألف درهم.

[٢٤- بين معاوية وعبيد بن شرية الجرهمي]

وروي أن عبيد بن شرية الجرهمي لما دخل على معاوية بن أبي سفيان قال: يا عبيد، من أين أقبلت؟ قال: م نخلفي، قال: وأين تريد؟ قال: أمامي. قال: ابن كم أنت؟ قال: ابن رجل واحد، قال: كم أتى عليك؟ قال: ليل ونهار، قال: لم أرد هذا وإنما أردت من السنين. قال: مائتان وعشرون سنة، قال: فما أدركت من الناس وما أدركت من القرون الماضية؟ قال: أجمل أو أفسر؟ قال: أجمل حتى أسألك عن التفسير! قال: أدركت الناس يقولون: ذهب الناس.

[٢٥- بين عدي بن أرطأة وشريح القاضي]

وورى أن عدي بن أرطأة أتى شريحًا القاضي وهو في مجلس القضاء. قال له: أين أنت – أصلحك الله، قال: بينك وبين الحائط. قال: اسمع مني، قال: لذلك جلست ها هنا. قال: إني رجل من أهل الشام. قال: الحبيب القريب. قال: إني تزوجت إلى قومٍ امرأة، قال: بارك الله لك فيها، قال: وشرطت لأهلها أن لا أخرجها من بينهم. قال: فأوف لهم شرطهم، قال: وأنا أريد الخروج، قال: في حفظ الله، قال: فاقض بيننا، قال: قد فعلت.

[٢٦- بين الغضبان بن القبعثري والحجاج بن يوسف وأعرابي]

وقال هشام بن محمد الكلبي: بعث الحجاج بن يوسف الغضبان بن القبعثري ليأتيه بخبر عبد الرحمن بن الأشعث من كرمان وبعث عليه عينًا، فلما انتهى الغضبان إلى ابن الأشعث، قال: ما وراءك يا غضبان؟ قال: شر، تغد بالحجاج قبل أن يتعشى بك، وانصرف خارج كرمان وهي أرض شديدة الحر كثيرة الرمضاء فضرب فيها قبة له فورد عليه أعرابي من بكر بن وائل على فرس يقود ناقة فقال: السلام عليك، فقال الغضبان: السلام كثير وهي كلمة. قال الأعرابي: ما اسمك؟ قال: آخذ، قال: أو تعطي؟ قال: ما أحب أن يكون لي اسمان. قال: من أي موضع جئت؟ قال: من موضع الذلول. قال:

وأين تريد؟ قال: أرضًا شتَّى في أماكنها أو مناكبها، قال: فمن عرض اليوم؟ قال: آل فرعون على النار، قال: فمن بشر؟ قال: الصابرون. قال: فمن غلب؟ قال: حزب الله، قال: فمن حزب الله؟ قال: المفلحون الفائزون، قال: فعجب الأعرابي من منطقه وحاضر جوابه: قال: أفتقرض؟ قال: إنما تقرض الفارة، قال: أفتسمع؟ قال: إنما تسمع القينة. قال: أفتنشد؟ قال: إنما تنشد الضآلة، قال: أفتقول؟ قال: إنما يقول الأمير. قال: أفتسجع؟ قال: إنما تسجع الحمامة.

قال: أفتنطق؟ قال: إنما ينطق كتاب الله، قال: فكيف ترى فرسي هذا؟ قال: أراه خيرًا من واحد هو شر منه، وواحد هو أجود منه. قال: لقد علمت. قال: فلِمَ سألتني عنه؟ قال: إنك لنكر. قال: إني لمعروف. قال: ذلك أريد، قال: وما إرادتك؟ قال: الدخول عليك، وقال: ورواؤك أوسع لك. قال: قد ضرت بي الشمس. قال: الساعة يأتيك الفيء. قال: حر الرمضاء أحرق قدمي. قال: بل عليهما يبردان. قال: قد آذاني الحر. قال: ليس عليه سلطان، قال: إني لا أريد طعامك ولا شرابك. قال: لا تعرض بهما، فوالله لأذقتهما، قال: سبحان الله، قال: قد قيل قبل كونك. قال: ما أرى عندك إلا ما أرى. قال: بل هراوة أرز أدق بها رأسك. قال: تالله ما رأيت ألأمر منك قط. قال: بلى، ولكنك نسيت. قال: إني لأظنك جنيًا، قال: اللهم اجعلني من خيار الجن. قال: بل أحسبك حروريًا، قال: اللهم اجعلني ممن يتحرى الخير، فلما رأى ذلك الأعرابي ولى وتركه، وقال: إنك لبذخ أحمق.

فلما قدم على الحجاج، قال له: أعراف أنت؟ قال: لست بعراف ولكني وصاف. قال: أشاعر أنت؟ قال: لست بشاعر ولكني خابر. قال: فكيف تركت أرض كرمان؟ قال: ماؤها وشل وسهلها جبل ولصها بطل وتمرها دقل، إن كثر الجيش بها جاعوا وإن قل ضاعوا. قال: تالله إنك لصاحب الكلمة، تغد بالحجاج قبل أن يتعشى بك، قال: أصلح الله الأمير، ما نفعت من قيلت له ولا ضرت من قيلت فيه. قال: لأقطعن يديك ورجليك ! قال: العفو أقرب للتقوى وإن فعلت فبجرمي. قال: لأحملنك على الأدهم. قال: مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشقر والكميت. قال: إنه حديد. قال: الحديد خير من البليد، قال: اذهبوا به إلى السجن، فانطلق وهو يقول: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٥٠]. فمكث في السجن حتى بنى الحجاج خضراء واسط

فأعجبته ما لم يعجبه شيء مثلها قط، فقال لأصحابه: كيف ترون قبتي هذه؟ قالوا: ما رأينا مثلها. قال: هي كذلك وفيها عيب وسأبعث من يخبرني بعيبها. فبعث إلى السجن فأتي بالغضبان، فأقبل يرسف في قيوده، فقال له الحجاج: كيف ترى قبتي هذه؟ قال: بنيت في غير بلدك ولا يسكنها ولدك ولا تبقى ولا تدوم، وما لم يبق فكأن لم يكن. قال: صدق، ردوه إلى السجن فإنه صاحب الكلمة، قال: أصلح الله الأمير ما نفعت من قيلت له ولا ضرت من قيلت فيه. قال: إنك لسمين. قال: من يكن ضيف الأمير يسمن. قال: انطلقوا به إلى السجن، قال: أصلح الله الأمير قد أكلني الحديد وما أطيق المشي، قال: احملوه ! فلما وضعه الرجال على أيديهم، قال: الحمد لله ﴿الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف:١٣] قال: أنزلوه، قال: اللهم ﴿أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٩]. قال: جروه، قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ [هود:٤١]. فأستحسن ذلك الحجاج، قال: أطلقوه، فما أفلت إلا بكلامه، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

ولكن هذه نهاية الكتاب، أسأل الله عز وجل أن يجعله خالصًا لوجه عريًّا من الرياء وشبهه فإنه سبحانه وتعالى مقلب القلوب وغفَّار الذنوب يغفر الزلات ﴿يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ [الشورى: ٢٥] عليه توكلت وإليه مآب، ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩].

وأنا أعتذر إلى الناظر في هذا الكتاب من تقصير وقع في الأبواب الأربعة الأول منها فإني استعملت في أكثرها الإملاء ولم أقصد الحصر والاستقصاء، وسبب ذلك أنه كان قد سبق مني قبل ذلك شرحي لمختصر "الروضة" في أصول الفقه ولحقني ضجر من مطالعة الكتب عليه وسآمة، فجعلت إملائي لأكثر هذا الكتاب على جهة الرياضة والتروح من ذلك.

وأيضًا لم يكن جل مقصودي منه إلا خاتمته والباب الخامس منه رغبة في استقراء الكتاب العزيز وجعل ذلك وسيلة إلى تدبر ما تضمنه من كل معنى بسيط في لفظ وجيز. وبالجملة فإنما وضعت هذا الكتاب مع أن الكتب في معناه كالبحر العُباب تدريبًا للقوة

النظرية وتأنيسًا لها ببعض المراسم الجدلية وما ضر المتفرج في الأرض أن لا يستوعب طولها والعرض.

مع أن القوى البشرية مختلفة في إدراك الحقائق متفاوتة في استخراج الدقائق وفوق كل ذي علم عليم. فإن ظهر منه في ذلك تقصير فليس عند الإنصاف بمليم إذ ذلك مبلغه من العلم، وعلماء الخلق كافة داخلون في السلم والسلام.

وكان الفراغ من تأليفه ومن هذه المسودة على يدي مؤلفه العبد الفقير إلى رحمة ربه الغني القدير سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم بن سعيد البغدادي قبيل الظهر من يوم الأحد أول شعبان من سنة تسع وسبع مائة والابتداء فيه أواخر جمادى الآخرة من السنة المذكورة، وذلك بالمدرسة الصالحية من القاهرة المعزية حماها الله عز وجل وسائر بلاد الإسلام حامدًا لله سبحانه وتعالى ومصليًا على رسوله محمد وآله وأصحابه عليهم أفضل الصلاة والسلام.

ثم أنهاه تصحيحًا ونظرًا ضحى نهار الأحد ثامن شعبان المذكور وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله وصحبه أجمعين فالحمد لله رب العالمين.

obeikandl.com